الكافر والخائن وأمير الهراطقة، لأنه، حسب ما قال «سيتابي»، «قد بهرج عقيدة «يسوع» لكي يستسيغها الإغريق».

وأما الكتب القليلة التي لم تكن محظورة على «ماني» فقد قرأها، وأعاد قراءتها، قبل أن يحفظ عن ظهر قلب مقاطع طويلة منها كانت قد أعجبته أو استرعت انتباهه أو حيّرته. وكان يُفاجأ أحياناً، وهو يتصفّح بعين كسول نصّاً سبق أن عرفه كلمةً كلمة، بأنه يرى بالصُّوَرِ المشهدَ الذي يتحدّث عنه ذلك النصّ. وعندها كانت تعتلج في نفسه الرغبة في الرسم. وكان ذلك يبدأ على الدوام بمواجهةطويلة بينه وبين الصفحة، ثم لا تلبث هذه أن تكتسي فراغاتها حول الكتابة الآرامية بمشهد حافل بالأشخاص والأزهار والحيوانات الخُرافيّة. ومع ذلك فإنه لم يكن يُراوده في لحظة من اللحظات أن يصطحب نصّاً أو يزيّنه بالصور أو يزخرفه، على الرغم من أنّ هذا التعبير الأخير كان سيملأ نفسه حبوراً؛ بل كان مقتنعاً، على العكس من ذلك، بأنه لو قُرئت رسومه عن كَثَب لفُهمت مادّتُها من غير ما حاجة إلى الاستعانة بالكلمات.

وعلى هذا النحو كان فنّ «ماني» يتفتّح في هوامش الكتب، من غير سابق تصميم، ولكن بالجموح الماهر الذي يرافق النضوج المُبكِّر. وكان يخطّ بادئ الأمر بمداد النُّسّاخ الخطوط النحيفة التي تُحدِّد هيئة الأشخاص والأشياء ثم ينفخ فيها الضياء والوضوح. وإنها لدقائق من السعادة يختطفها يوماً بعد يوم من يقظة «الإخوة» وحَذَرهم.

لكن لم يكن بدٌّ من أن يُكتشف الأمر. فما إن رأى أحد «أصحاب الملابس البيضاء» للمرة الأولى «ماني» وهو «يلطِّخ» صفحات أحد الكتب المقدّسة حتى هرع يُخْطِر «سيتابي» بالتجديف المُقْتَرَف. ولم يشأ الصبي أن يتوسّل ولا أن يهرب. وإذ كان منتشياً بلحظة الإبداع فإنه لم يستسلم للخوف ولا حتى للحَذَر الذي كان قد رصده لنفسه. وعندما انتصب المعلّم أمامه خاطر باعترافٍ وَقِحٍ:.

ـ لم أُنْهِ بعدُ رسمي.